مجلة العلوم العربية والإنسانية
جامعة القصيم، المجلد (١٠)، العدد (١)، ص ص ٣٨٣-٤٣٠، (محرم ١٤٣٨هـ/ أكتوبر ٢٠١٦)

القيم الحضارية والإنسانية
في حوار جعفر بن أبي طالب τ مع ملك الحبشة
قراءة تاريخية حضارية

د. بسام بن عبدالعزيز الخراشي
قسم التاريخ والحضارة -كلية العلوم الاجتماعية - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

ملخص البحث. يتناول البحث القيم الحضارية والإنسانية في السيرة النبوية والتي أكد عليها خطاب الصحابي الجليل جعفر بن أبي طالبτ وهو يحاور النجاشي ملك الحبشة أصحمة بن أبجر ، حيث تمكن جعفرτ بذكائه وقدرته الحوارية في إقناع الملك وكسب تعاطفه واستمالته لقبول ما جاء به نبينا محمدρحيث بادر بالدخول في الإسلام بعد أن عرض عليه جعفرτ ما جاء به النبي ρ الذي دعا قومه إلى التوحيد وتصحيح المعتقد وإلى الصدق في الحديث والمحافظة على أداء الأمانة وصلة الرحم، وحسن الجوار ، وبعض القيم السلوكية كالتورع عن المحرمات والفواحش وقول الزور، وحفظ الأعراض وتحريم رمي المحصنات، ورعاية اليتيم وصيانة حقوقه، ويحاول البحث إبراز الفوائد والدروس من ذلك الخطاب والحوار المتضمن لمجموعة من القيم التي في تطبيقها والعمل بها ضمان لاستقرار المجتمعات البشرية، ومن سبل المحافظة على أمنها وسلامتها، ولتمييز المجتمعات المسلمة عن غيرها من المجتمعات التي شاعت فيها بعض العادات والسلوكيات التي فيها مساس وامتهان بالكرامة وانتزاع القيم الإنسانية.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد خاتم النبيين، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد،

فقد بعث الله تعالى نبينا محمدًا ρ بالرحمة والهدى وتحقيق قيم الخير والعدالة وترسيخ الفضائل الأخلاقية التي كان موصوفًا بها قبل البعثة إذ كانρ يصل الرحم ويحمل الكل ويكسب المعدوم ، ويلقب بالصادق والأمين.

وخلال المرحلة المكية من نبوته ρ والتي امتدت ثلاثة عشر عامًا كان ρ يعمل على ترسيخ البناء العقدي والدعوة إلى التوحيد الخالص وتربية الفضائل وتزكية الأرواح وغرس القيم التي تقوم عليها الحياة.

وفي الحوار الذي جمع صحابة رسول الله ρ مع ملك الحبشة النجاشي تجلى أثر المنهج النبوي حين عرض المتحدث باسم الصحابة ψ جعفر بن أبي طالب τ القيم الحضارية والإنسانية التي حث عليها الدين الحنيف في ذلك الوقت المبكر المتمثلة في قيم الصدق وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، ورعاية اليتيم، إلى جانب العناية بالعقيدة والتوحيد.

وهكذا فإن هذا الحوار التاريخي الذي ظهرت فيه القيم ممتزجة بالتطبيق والتفعيل جديرة بأن تقرأ من زوايا حضارية وإنسانية قيمية لتوكيد أهمية التأسيس القيمي والأخلاقي للأفراد والمجتمعات ولأهميتها في التاريخ الإنساني، فهي جديرة بأن تنال مزيدًا من العناية والاهتمام في ضوء حاجة مجتمعاتنا الإسلامية إلى الارتباط بمنهجه ρ وحاجتها إلى التأسيس القيمي والأخلاقي، ومن هنا تبرز أهمية هذا البحث الذي يهدف بشكل رئيس إلى الكشف عن القيم الحضارية والإنسانية التي أكد عليها خطاب جعفر بن أبي طالبτ وهو يحاور ملك الحبشة النجاشي وأعوانه.

وقد اقتضت طبيعة البحث في هذا الموضوع أن ينتظم في أربعة محاور، هي:

المحور الأول: مفهوم القيم الحضارية والإنسانية ومدلولاتهما.

المحور الثاني: الحبشة وملكها النجاشي.

المحور الثالث: جعفر بن أبي طالب τ (أسرته وحياته في مكة، إسلامه وأثر الدعوة في شخصيته).

المحور الرابع: حوار جعفر بن أبي طالبτ مع ملك الحبشة ومضامينه الحضارية والإنسانية، وهي:

أولاً: قيم الصدق والمحافظة على أداء الأمانة.

ثانيًا: قيم المحافظة على صلة الرحم.

ثالثًا: قيم حسن الجوار.

رابعًا: قيم المحافظة على كرامة الإنسان:

١- تحقيق التوحيد وسلامة المعتقد في المجتمع.

٢-القيم السلوكية(التورع عن المحرمات والفواحش وقول الزور)

٣-حفظ الأعراض وتحريم رمي المحصنات.

٤-رعاية اليتيم وصيانة حقوقه.

تلا ذلك الخاتمة وأبرز النتائج التي تم التوصل إليها في هذا البحث.

المحور الأول: مفهوم القيم الحضارية والإنسانية ومدلولاتهما

القيم عند أصحاب اللغة جمع قيمة، ويقال قومت الشيء تقويمًا، فهو قويم أي مستقيم، قال تعالى: چ ہ ہ ہ چ[١] أي على الملة الحنفية"[٢] ، وقيل القِيمة بالكسر: واحدة القيم، وماله قيمة إذا لم يدم على الشيء، والقوام: العدل وما يعاش به، والقوام: نظام

(١) سورة البينة، آية: ٥.

(٢) ابن منظور، محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ)، لسان العرب، ط١، بيروت، دار صادر د. ت، ج٥٨/١١ مادة (ق مع الياء) والرازي، محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، ط١، بيروت، مكتبة لبنان، ٢٠٠٦م، ص ٢٣٣، مادة (ق و م)، الفيومي، محمد بن علي (ت٧٧٠هـ)، المصباح المنير، ط١، بيروت، مكتبة لبنان، ١٩٩٠م، ص ١٩٩ مادة (قوّم).

الأمر وعماده وملاكه[٣] ، وقال الراغب الأصبهاني معنى القِيم أي ثابتًا مقومًا لأمور معاشهم ومعادهم [٤] .

ويأتي مفهوم القيم بمعنى مجموعة من الصفات والمثل والقواعد التي تقوم عليها الحياة البشرية [٥] .

وقيل إن معنى القيم هي: مجموعة من المعايير والأحكام النابعة من تصورات أساسية عن الكون والحياة والإنسان والإله كما صورها الإسلام، تتكون لدى الفرد والمجتمع من خلال التفاعل مع الموافق والخبرات الفردية والاجتماعية، بحيث تمكنه من اختيار أهداف وتوجهات لحياته تتلاءم مع قدراته وإمكانياته، وتتجسد من خلالها الاتجاهات أو الاهتمامات أو السلوك اللفظي أو العلمي بصورة مباشرة وغير مباشرة [٦].وعرفها أحدهم بأنها مجموعة من "القواعد التي تقوم عليها الحياة الإنسانية، وتختلف بها عن الحياة الحيوانية" [٧].كما عُرفت القيم بأنها: "حكم يصدره الإنسان على شيء ما مهتديًا بمجموعة من المبادئ والمعايير التي ارتضاها الشرع محددًا المرغوب فيه والمرغوب عنه من السلوك" [٨] .

ومما سبق يتبين أن مفهوم القيم الحضارية والإنسانية يعني مجموعة من المعايير والقواعد المستمدة من الدين الحنيف والتي تضمنها حوار الصحابي الجليل جعفر بن أبي طالب τ مع ملك الحبشة، وإن في تطبيقها والعمل بها ضمان لاستقرار المجتمعات البشرية، ومن سبل المحافظة على أمنها وسلامتها، ولتمييز المجتمعات المسلمة عن غيرها من المجتمعات التي شاعت فيها

---

(٣) الرازي، مختار الصحاح، ٢٣٤.

(٤) المفردات في غريب القرآن، ط١، بيروت، دار المعرفة، د. ت، ص ٤١٧.

(٥) عبدالرحمن بن زيد الزنيدي، السلفية وقضايا العصر، ط١، الرياض، دار إشبيليا، ١٤١٨هـ ص ٤٦١.

(٦) علي خليل أبو العينين، القيم الإسلامية والتربوية، ط١، القاهرة، مكتبة إبراهيم حلبين، ١٤٠٨هـ، ص ٣٥.

(٧) عبدالله بن إبراهيم الطريقي، الثقافة الإسلامية، ط١، د. ت، ١٤١٧هـ، ص ١٤.

(٨) حامد عبدالسلام زهران، علم النفس الاجتماعي، ط١، بيروت، عالم الكتب، ٢٠٠٣م، ص ١٣٢.

بعض العادات والسلوكيات التي فيها مساس وامتهان بالكرامة وانتزاع القيم الإنسانية.

المحور الثاني: الحبشة وملكها النجاشي

قال أصحاب اللغة الحبَشَة بفتحتين فيهما جنس من السودان، والجمع حبشان (٩) ، وقد أشار ابن حجر إلى الحبشة بقوله: "الحبشة جبل معروف بالجانب الغربي من بلاد اليمن، ومسافتها طويلة جدًا، وهم أجناس، وجميع فرق السودان يعطون الطاعة لملك الحبشة (١٠)، وهناك من يرى أن المقصود بالحبشة في عصر النبوة هي السودان الحالية(١١).

وقيل إن الحبشة كانوا في الأصل جماعات عربية يمنية تقطن الساحل الجنوبي لشبه الجزيرة العربية شرقي حضرموت ثم هاجرت غربًا حيث عبرت مضيق باب المندب، وأقامت في المناطق المقابلة لليمن على الساحل المواجهة من القارة الإفريقية واستوطنت بها (١٢)، وقد نجح هؤلاء العرب في تأسيس مملكة أكسوم، ومدينة أكسوم عاصمة بلاد الحبشة، وفي هذه المرحلة دخلت المسيحية الحبشة عن طريق بعض المبشرين، وذلك حوالي عام ٣٢٠م، وأصبحت المسيحية دينًا رسميًا للمملكة (١٣) .

---

(٩) الرازي، مختار الصحاح، ص ٥١، مادة (ح ب ش) والفيومي، المصباح المنير، ص٤٦.

(١٠) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، علق عليه: سماحة الشيخ: عبدالعزيز بن باز، ط٢، بيروت، دار المعرفة، ١٣٧٩هـ، ج١٩٠/٧.

(١١) يراجع، حسن الشيخ الفاتح الشيخ قريب الله، السودان دار الهجرتين الأولى والثانية للصحابة، ط١، الخرطوم، المؤسسة العامة للنشر، د.ت، ص١٣٨-١٤٢

(١٢) السيد عبدالعزيز سالم، دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط١، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، د. ت، ص ١٢٠.

(١٣) يراجع للمزيد، سامية عبدالعزيز منِسى، إسلام نجاشي الحبشة ودوره في صدر الدعوة الإسلامية، ط١، القاهرة، دار الفكر، ١٤٢١هـ، ص١٤

أما عن تسمية ملوك الحبشة بالنجاشي فقد ورد فيه عدة أقوال. قال الرازي: النجاشي بالفتح ملك الحبشة (١٤) وقال ابن كثير: "النجاشي اسم ملك كقول كسرى وهرقل. والنجاشي عن ملك الحبشة" (١٥)، وعند السيوطي لقب النجاشي.. اسم لكل من ملك الحبشة كما يسمى كل خليفة للمسلمين أمير المؤمنين، ومن ملك الروم: قيصر، والترك: خاقان. والفرس: كسرى والقبط: فرعون، ومصر: العزيز، واليمن: تُبعاً، وحمير وهكذا (١٦) .

على أي حال فإن النجاشي ليس اسمًا لملك الحبشة في عصر النبوة، وإنما هو لقب يُطلق على كل من تولى مملكة الحبشة فقد كان اسم ملك الحبشة أو نجاشي الحبشة هو أصحمة بن أبجر النجاشي وهذا هو المشهور(١٧)وهو الذي عاصر مرحلة هجرة الصحابة ψإلى الحبشة.

وأصْحَمَةُ بفتح الهمزة وسكون الصاد المهملة، وفتح الهاء والميم، ومعناه بالعربية عطية (١٨)، أسلم في زمن النبي ε ، وأحسن إلى الصحابة الكرام ψالذين هاجروا إلى بلاده كما سيمر بنا، وهو نفسه الذي أخبر النبيρ بوفاته وصلى عليه ε بالمدينة صلاة الغائب قال النبيρ "مات اليوم رجل صالح، فقوموا فصلوا على أخيكم أصحمة" (١٩). وكانت وفاته في السنة التاسعة للهجرة وقيل في السنة الثامنة قبل فتح مكة(٢٠) .

---

(١٤) مختار الصحاح، ص ٢٧٠.

(١٥) البداية والنهاية، ط٥، بيروت، مكتبة المعارف، ١٤٠٥هـ. ج٣/٧٨.

(١٦) السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن (ت٩١١هـ)، ورفع شأن الحبشان، ط٢، جدة، دار القبلة للنشر، ص ١١٢ – ١١٣.

(١٧) يراجع، البخاري، كتاب كتاب الجنائز، باب التكبير على الجنازة أربعًا، رقم الحديث(١٣٣٤)

(١٨) يراجع ابن كثير، البداية والنهاية، ج٣/٧٧ وابن حجر، الإصابة، ج١/١٠٩.

(١٩) البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب موت النجاشي، رقم الحديث (٣٨٧٧).

(٢٠) يراجع، ابن حجر، فتح الباري، ج٧/١٩١

ويستفاد مما أوردته المصادر أن أصحمة هذا كان قد حكم الحبشة بعد نزاع طويل مع بعض الطامعين في الحكم، فقد كان والده ملكًا على الحبشة، ولم يكن له ولد إلا أصحمة هذا، وكان صغيرًا في السن، السبب الذي جعل عمه يطمع في تولي حكم الحبشة، وقد كان من صلبه اثنا عشر رجلاً، فأرادت الحبشة أن تحول الملك إلى أخيه ليظل ملكهم طويلاً في أسرتهم فقالوا: لو قتلنا أبجر أبا أصحمة ملكنا أخاه فإن له اثنا عشر رجلاً من صلبه فيتوارثون الملك فلا يكون هناك نزاع، فقاموا عليه وقتلوه، وملكوا أخاه إلا أن أصحمة تمكن من عمه الذي لا يستطيع أن يبرم أمرًا إلا عن طريقه، فقد كان لبيبًا حازمًا. فلما رأت الحبشة هذه المكانة الرفيعة لأصحمة عند عمه، قالوا: قد غلب هذا الغلام على أمر عمه فما نأمن أن يملكه علينا، خاصة وأنه قد عرف أنا قتلنا أباه، فلئن فعل لم يدع منا شريفًا إلا قتله. وطلبوا من عمه أن يخرجه أو يقتله، فقال لهم ويحكم قتلتم أباه بالأمس وأقتله اليوم، بل أخرجه من البلاد، فخرجوا به وباعوه في السوق إلى تاجر من التجار، فلما كان العشاء هاجت سحابة فخرج عمه فأصابته صاعقة فقتلته، ففزعوا إلى ولده فإذا هم غير مؤهلين للحكم فانتشرت الفوضى السياسية في بلاد الحبشة، فقال أهل الحبشة إن ملككم الذي لا يصلح أمركم غيره للذي بعتم الغداة، فإن كان لكم بأمر الحبشة حاجة فابحثوا عنه، فخرجوا في طلبه فأدركوه فردوه فعقدوا عليه تاج الملك وملكوه فقال التاجر: ردوا عليّ مالي كما أخذتم مني غلامي فكلم الملك في ذلك فقال أيها الملك إني ابتعتُ غلامًا فقبض مني الذي باعوه ثمنه، ثم أخذوه مني ولم يردوا مالي فقال الملك لتردن عليه ماله أو تجعلن يد غلامه في يده فليذهب به حيث شاء، فقالوا: بل نعطيه ماله فأعطوه إياه، فلذلك يقول: ما أخذ الله مني الرشوة فآخذ الرشوة حين رد علي ملكي(٢١).

(٢١) يراجع، ابن هشام، عبدالملك بن هشام (ت٢١٨هـ)، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا وزملاءه، ط١، القاهرة، مؤسسة علوم القرآن، ١٣٢٩هـ، ج٣٣٩/١ – ٣٤١، ابن الأثير، أسد الغابة، ج١١٩/١،

وفي رواية أن والد النجاشي مات وأصحمة لا يزال غلامًا صغيرًا، فأوصى إلى أخيه أن إليك ملك قومك حتى يبلغ ابني، فإذا بلغ فله الملك فرغب أخوه في الملك فباع الغلام على بعض التجار، فمات من يومه فردت الحبشة أصحمة ووضعوا التاج على رأسه (٢٢).

وقد أظهر عندما تولى الحكم في الحبشة العدل ومحاربة الظلم واشتهر به لهذا أمر النبي ε الصحابة الكرام ψ بالهجرة إلى الحبشة "لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكًا لا يُظلم عنده أحد، وهي أرض صدق، حتى يجعل الله لكم فرجًا مما أنتم فيه"(٢٣).

المحور الثالث: جعفر بن أبي طالب τ

(أسرته وحياته في مكة، إسلامه وأثر الدعوة في شخصيته)

١ – شرف نسبه وأسرته:

جعفر بن أبي طالب، واسم أبي طالب عبد مناف بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي القرشي الهاشمي، هذا هو المتفق عليه من نسبه، وهو نسب النبيρ فكلاهما من نسل عبد المطلب بن هاشم(٢٤)، وجعفر ابن عم النبيρ ، وأخو علي بن أبي طالب τلأبويه، وكان أسن من علي بعشر سنين، وأخوه عقيل أسن منه بعشر سنين، وأخوهم طالب

والذهبي سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ط٤، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٦هـ ج١/٤٢٨ – ٤٣٠ وابن كثير، البداية والنهاية، ج٣/٧٥ – ٧٦، وابن حديدة، محمد بن علي (ت٧٨٣هـ)، المصباح المضيء في كتاب النبي الأمي ورسله إلى ملوك الأرض من عربي وعجمي، ص ٢٠٩ – ٢١٢، ، وابن حجر، الإصابة ج١/١٠٩.

(٢٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/٣٤٠ وابن كثير، البداية والنهاية، ج٣/٧٦.

(٢٣) بن هشام، السيرة النبوية، ج١/٣٢١ وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، ج٧/٥٧٧.

(٢٤) ابن سعد، الطبقات، ط١، بيروت، دار صادر، ١٣٨٨هـ. ج٤/٣٤ وخليفة بن خياط، الطبقات، تحقيق: أكرم ضياء العمري، ط١، الرياض، دار طيبة، ١٤٠٢هـ، ص٤ – ٥ وابن الأثير، أسد الغابة، ج١/٥٤١.

أسن من عقيل بعشر سنين. (٢٥)، أمه: فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف الهاشمية القرشية، وهي أمه وأم إخوته طالب وعقيل وعلي، وقد أسلمت وهاجرت إلى المدينة، وتوفيت بها، وهي أول هاشمية ولدت لهاشمي، وهي أيضًا أول هاشمية ولدت خليفة. (٢٦) ، وزوجته أسماء بنت عميس أسلمت قبل دخول النبيρ دار الأرقم بمكة وهاجرت معه إلى الحبشة فولدت له هناك عبدالله، وعونًا، ومحمدًا، ثم قتل عنها جعفر بمؤته شهيدًاسنة ثمان للهجرة(٢٧) ، وهو جعفر الطيار، حيث عوضه الله من يديه جناحين يطير بهما في الجنة حيث شاء (٢٨)

واشتهر بأبي المساكين عن أبي هريرة τقال: كنت ألزم النبي ε لشبع بطني.. وألصق بطني بالحصباء، واستقرئ الرجل الآية، وهي معي، كي ينقلب بي فيطعمني، وخير الناس للمساكين جعفر بن أبي طالب، ينقلب بنا فيطعمنا ما كان في بيته، حتى إن كان ليخرج إلينا العُكة(٢٩) ليس فيها شيء، فنشقها فنلعق ما فيها..(٣٠)، وهذا فيه دلالة على ما يملكه جعفرτ من سجايا وخصال إنسانية حميدة وصفات طيبة قلما تجتمع في رجل واحد لكن ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

٢ – إسلامه وأثر الدعوة في شخصيته:

تشير كتب السيرة إلى أن جعفر بن أبي طالب τأحد السابقين إلى الإسلام، أسلم بعد أخيه علي بقليل قيل بعد خمسة وعشرين

---

(٢٥) الهيثمي، علي بن أبي بكر (ت٨٠٧هـ)، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تحقيق: حسام الدين القدسي، ط١، القاهرة، مكتبة القدس، ١٤١٤هـ. ج٩/٢٧٢ – ٢٧٣.

(٢٦) يراجع، ابن حجر، الإصابة، ج٤/٣٨٠

(٢٧) يراجع، ابن سعد، الطبقات، ج٨/٢٨٠-٢٨١

(٢٨) يراجع، ابن سعد، الطبقات، ج٤/٣٤ وصححه الهيثمي، مجمع الزوائد ، ج٩/٢٧٢

(٢٩) العُكة، بالضم ما يوضع به السمن، الرازي، مختار الصحاح، ص١٨٨

(٣٠) البخاري، كتاب الأطعمة، باب الحلواء والعسل، رقم الحديث (٥٤٣٢).

رجـلاً[٣١]، وقيـل بعـد واحـد وثلاثـين وكـان هـو الثـاني والثلاثـين [٣٢]. وكـان لهـذا أثـر كبيـر فـي شخصـيته الدعويـة والحواريـة، وكـان قريـب الشـبه مـن النبـي ε فقـد ثبـت إنـه قـالε لجعفـر: "..أشـبهْتَ خلْقـي وخُلُقـي وقال لزيد: أنت أخونا ومولانا.."[٣٣] .

٣-الهجرة والاغتراب في حياة جعفر بن أبي طالبτ:

يستفاد مما أوردته كتب السيرة أن الصحابي الجليل جعفر بن أبي طالبτ هاجر من مكة إلى الحبشةومعه زوجته أسماء بنت عميس، وبرفقة الصحابة الكرام ψ الذين منهم من خرج بأهله معه، ومنهم من خرج بنفسه لا أهل له معه، فكان جميع من لحق بأرض الحبشة وهاجر إليها من المسلمين، سوى أبنائهم الذين خرجوا بهم معهم صغاراً وولدوا بها، ثلاثة وثمانين رجلاً، فلما بلغ ذلك قريشًا ائتمروا بينهم أن يبعثوا إلى النجاشي وفدًا محملاً بالهدايا مما يُستطرف من متاع مكة، وكان من أعجب ما يأتيه منها الأدم -أي الجلود-، فجمعوا له أدمًا كثيرًا، ولم يتركوا من بطارقته بطريقًا إلا أهدوا له هدية، ثم بعثوا بذلك عبد الله بن أبي ربيعة، وعمرو بن العاص، وأمروهما بأمرهم، وقالوا لهما: ادفعا إلى كل بطريق هديته قبل أن تكلما النجاشي فيهم، ثم قدِّما إلى النجاشي هداياه، ثم سلاه أن يسلمهم إليكما قبل أن يكلمهم، فخرجا حتى قدما على النجاشي، ونحن عنده بخير دار، عند خير جار، فلم يبقَ من بطارقته بطريقٌ إلا دفعا إليه هديته قبل أن يكلما النجاشي، وقالا لكل بطريق منهم: إنه قد لجأ إلى بلد الملك منا غلمان سفهاء، فارقوا دين قومهم، ولم يدخلوا في دينكم، وجاءوا بدين مبتدع، لا نعرفه نحن ولا أنتم، وقد بَعَثَنَا إلى الملك فيهم أشرافُ قومهم ليردهم إليهم، فإذا كلمنا الملك فيهم، فأشيروا عليه بأن يسلمهم إلينا ولا يكلمهم، فإن قومهم أعلم بما عابوا عليهم، فقالوا لهما: نعم، ثم إنهما قدَّما هداياهما إلى النجاشي فقبلها منهما، ثم كلماه فقالا له:

---

(٣١) ابن حجر، الإصابة، ج١/٢٣٧

(٣٢) ابن الأثير، أسد الغابة، ج١/٥٤١

(٣٣) البخاري، كتاب المغازي، باب عمرة القضاء، رقم الحديث(٤٢٥١) ، وابن حنبل، أحمد بن محمد(ت٢٤١هـ)، المسند، ط٤، عمان، بيت الأفكار الدولية، ١٩٩٨م، رقم الحديث(٧٧٠)، ص٩٩-١٠٠

أيها الملك، إنه قد لجأ إلى بلدك منا غلمان سفهاء، فارقوا دين قومهم، ولم يدخلوا في دينك، وجاءوا بدين ابتدعوه، لا نعرفه نحن ولا أنت، وقد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم لتردهم إليهم، فهم أعلى بهم عيناً، وأعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه، ولم يكن شيء أبغض إلى عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص من أن يسمع كلامَهم النجاشيُّ، فقالت بطارقته حوله: صدقًا أيها الملك، قومهم أعلى بهم عينًا، وأعلم بما عابوا عليهم فأسلمهم إليهما فليرداهم إلى بلادهم وقومهم، فغضب النجاشي، ثم قال: لا ها الله ايم الله، إذن لا أُسلمهم إليهما، ولا يُكاد، قومُ جاوروني، ونزلوا بلادي، واختاروني على من سواي، حتى أدعوهم فأسألهم عما يقول هذان في أمرهم، فإن كانوا كما يقولان أسلمتهم إليهما، ورددتُهم إلى قومهم، وإن كانوا على غير ذلك منعتهم منهما، وأحسنت جوارهم ما جاوروني(٣٤).

المحور الرابع: حوار جعفر بن أبي طالب τ مع ملك الحبشة ومضامينه الحضارية والإنسانية

مر بنا الرغبة في التأكد من مزاعم الوفد القرشي من قبل ملك الحبشي الذي دعا أساقفته فنشروا مصاحفهم حوله، فدار حوار بين المتحدث باسم الصحابةψ جعفر بن أبي طالب τ وملك الحبشة النجاشي، وكانت بداية الحوار حين وجه النجاشي هذا السؤال للصحابةψ ما هذا الدين الذي أنتم عليه؟ فارقتم دين قومكم ولم تدخلوا في يهودية ولا نصرانية، فأجابه جعفرτ قائلاً:أيها الملك، كنا قومًا أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك، حتى بعث الله إلينا رسولاً منا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن

(٣٤) يراجع، ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/٣٣٤-٣٣٥ واحمد بن حنبل، المسند، رقم الحديث(١٧٤٠)، ص١٨٥-١٨٦، وصححه الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ، ج٦/٢٧.

وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات، وأمرنا أن نعبد الله وحده، لا نشرك به شيئًا.. واتبعناه على ما جاء به من الله، فعبدنا الله وحده، فلم نشركْ به شيئًا، وحرمنا ما حرم علينا، وأحللنا ما أحل لنا، فعدا علينا قومنا، فعذبونا، وفتنونا عن ديننا، ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلى بلادك، واخترناك على من سواك، ورغبنا في جوارك، ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك. ويستمر الحوار حيث قال النجاشي: هل معك مما جاء به عن الله من شيء؟، فقال له جعفر بن أبي طالب: نعم، فقال له النجاشي: فاقرأه علي، فقرأ عليه صدرًا من سورة مريم: چ ﭑ چ فبكى النجاشي حتى اخضلت لحيته، وبكى أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلا عليهم، ثم قال النجاشي إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة، انطلقا، فلا والله لا أسلمهم إليكما، ولا يكادون [٣٥] . هذا الحوار يدل على ذكاء جعفرτ وقدرته الفائقة في الإقناع وكسب تعاطف النجاشي واستمالته لقبول ما جاء به نبينا محمدρ، فقد عرض القيم الإنسانية والأخلاق الفاضلة التي تهدف إلى تحقيق كرامة الإنسان في حياته الدنيوية، مما يجلي حقيقة غائبة عند بعض المجتمعات التي تحاول النيل من النبيρ وتشويه رسالته.

هذا ويمكن بيان أبرز القيم الحضارية والإنسانية التي تضمنها حوار جعفرτ مع ملك الحبشة، كما يلي:

أولاً: قيم الصدق والمحافظة على أداء الأمانة

يستفاد مما أوردته كتب السيرة أن من أبرز سمات المجتمع الوثني عند البعثة النبوية الظلم الاجتماعي وتسلط القوى على الضعيف في عدم المصداقية في التعامل معه وفي أداء الأمانات

(٣٥) يراجع، ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/٣٣٥-٣٣٦ وأحمد بن حنبل، المسند، رقم الحديث(١٧٤٠)، ص١٨٧.

إلى أهلها، كما حصل مع التاجر الزبيدي الذي قدم إلى مكة بتجارة له، فاشتراها منه العاص بن وائل السهمي، ثم حبس حقها ورفض أن يدفعه لصاحبه؛ الأمر الذي جعل الزبيدي ينادي في عشائر قريش وأحلافها يطالب بحقوقه ممن ظلمه فلم يكترثوا له فقال:

يا آل فهر لمظلوم بضاعته ببطن مكة نائي الدار والنَّفَر

ومُحْرِم أشعث لم يقض عُمرته يا للرجال وبين الحِجْر والحجَرِ

إن الحَرام لَمن تمت كرامته ولا حرام لثوب الفاجِر الغُدَر(٣٦)

وبعد سماع قريش هذه الأبيات تداعت عشائرها فتحالفوا في دار عبدالله بن جدعان لشرفه وسنه، فقد اجتمعت بطون قريش من بني هاشم، و المطلب و أسد بن عبدالعزيز، وزهرة بن كلاب، وتيم بن مرة فتحالفوا وتعاقدوا ألا يجدوا بمكة مظلومًا من أهلها أو من غيرهم إلا قاموا معه، وكانوا على من ظلمه، حتى ترد مظلمته فسمت قريش ذلك الحلف -حلف الفضول -فشهده النبي ε وقال بعد مبعثه ε لقد شهدت مع عمومتي حلفاً في دار عبدالله بن جدعان ما أحب أن لي به حمر النعم، ولو دُعيت به في الإسلام لأجبت (٣٧).

(٣٦) يراجع ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/١٣٥ – ١٣٧والسهيلي، عبدالرحمن بن عبدالله(ت٥٨١هـ)، الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام، تعليق:مجدي بن منصور سيد، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ، ج١/٢٤٢

(٣٧) أخرجه ابن سعد، الطبقات، ج١/١٢٩ وصححه الألباني، يراجع، محمد الغزالي، فقه السيرة، تخريج وحكم: محمد ناصر الدين الألباني، القاهرة، دار الكتب الحديثة ١٩٦٥، ص ٦٥.

وممن عرف واشتُهر بالمماطلة في أداء الحقوق والأمانات الخاصة لأصحابها العاص بن وائل، قال خباب بن الأرت ت[٣٨] جئت العاص بن وائل السهمي أتقاضاه حقاً لي عنده، فقال: لا أعطيك حتى تكفر بمحمد ε، فقلت: لا، حتى تموت ثم تبعث، قال العاص: وإني لميت ثم مبعوث، قال له خباب نعم قال: دعني حتى أموت وأبعث فسأوتي مالاً وولدًا، فأقضيك حقك فضرب الله مثله في القرآن [٣٩] چ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ چ[٤٠].

ولمعالجة هذه القيم الجاهلية جاء التوكيد على الصدق في الحديث والمحافظة على أداء الأمانة لتكون من خصائص بناء المجتمع المسلم الذي تميزه عن غيره من المجتمعات، ويمكن بيان ذلك في الآتي:

١ – قيم الصدق في الحديث:

قال أصحاب اللغة الصدق ضد الكذب [٤١] والصدق هو نقل الإخبار عن الشيء على ما هو عليه في الواقع، وعكسه الكذب الذي هو الإخبار عن الشيء بخلاف ما هو عليه [٤٢].

والصدق من القيم الخُلقية التي أمر النبي ε الصحابة الكرام ψ بالتحلي بها والمحافظة عليها فهو من صفات الرسل والأنبياء عليهم السلام قال تعالى: چ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ چ [٤٣]، وقال تعالى

---

(٣٨) خباب بن الأرت بن جندلة بن سعد التميمي، سُبي في الجاهلية فبيع في مكة، وكان من السابقين الأولين، توفي في زمن الخليفة الراشد علي بن أبي طالب رضي الله عنه. يراجع، ابن سعد، الطبقات، ج١٦٤/٣ –١٦٧ والبلاذري، أنساب الأشراف، ج١٧٦/١.

(٣٩) البخاري، كتاب الخصومات، باب التقاضي، رقم الحديث (٣٤٢٤) والواحدي، أسباب النزول، ص ٢١٢–٢١٣.

(٤٠) سورة مريم، آية: ٧٧ – ٨٠.

(٤١) الرازي، محمد بن أبي بكر (ت٦٦٦هـ)، مختار الصحاح، ط١، بيروت، مكتبة لبنان، ٢٠٠٦م، ص ١٥١، مادة (ص د ق).

(٤٢) عبداللطيف محمد العبد، الأخلاق في الإسلام، ط١، المدنية المنورة، مكتبة دار التراث، د. ت، ص ١٧٠

(٤٣) سورة مريم، آية: ٤١.

عن النبي ε چۀ ہ ہ ہ چ [٤٤] أي مجيئه حق، فلولا مجيئه وإرساله لم يكن الرسل صادقين، فهو آية ومعجزة لكل رسول قبله، لأنهم أخبروا به وبشروا به أقوامهم، وصدق دعوتهم، ودعا إلى ما دعوا إليه، وآمن بهم، وأخبر بصحة رسالتهم ونبوتهم وشرعهم [٤٥].

كما حذر النبي ε من الكذب والتمادي فيه قال ε:إن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكون صديقًا، وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يُكتب عند الله كذابًا [٤٦].

٢ – قيم المحافظة على أداء الأمانة:

قيم المحافظة على أداء الأمانة يعد خلقاً كريماً متمّماً لقيم الصدق في الحديث، ولأهمية الأمانة تم إفرادها في فقرة مستقلة لعظم شأنها وجلالة قدرها في حياة الإنسان. فقد رفضت السماوات والأرض والجبال أن يحملها لثقلها وعظمتها وحملها الإنسان، قال تعالى: چۋ و و ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ چ[٤٧].وقال تعالى: چۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ چ[٤٨] .

وكان من أعظم شمائل النبي ε المحافظة على الأمانة قبل البعثة وبعدها فقد اتصف في مجتمع مكة الوثني بالأمانة، ولقب "بالأمين" ومما يدل على هذا التكريم ما حصل من خلاف حول إعادة الحجر الأسود إلى مكانه عند تجديد بناء الكعبة حين تنازعت قريش فيمن يستحق شرف رفع الحجر إلى مكانه حتى

---

(٤٤) سورة الصافات، آية: ٣٧.

(٤٥) ابن سعدي، عبدالرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبدالرحمن بن معلا اللويحق، ط٣، الرياض، دار المؤيد، ١٤٢٦هـ، ص ٧٠٢.

(٤٦) أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب قبح الكذب ، وحسن الصدق وفضله، رقم الحديث (٢٦٠٧).

(٤٧) سورة الأحزاب، آية: ٧٢.

(٤٨) سورة النساء، آية ٥٨.

كادوا يقتتلون لولا اتفاقهم في تحكيم أول رجل يدخل المسجد، فكان محمد ε هو أول من دخل عليهم فلما رأوه قالوا: هذا الأمين، رضينا هذا محمد (٤٩)، وعلى الرغم من معارضة الزعامات الوثنية للنبي ε في مكة إلا أنهم لم ينفوا هذا الخلق الكريم، وقد صرح بذلك زعيم قريش أبو سفيان حين سأله ملك الروم هرقل(٥٠) عن النبي ε، فقال له إنه يأمر بالصلاة والصدق والعفاف والوفاء بالعهد، وأداء الأمانة فرد عليه ملك الروم وهذه صفة نبي (٥١).

وقد بلغت ثقة مشركي مكة بأمانة النبي ε بعد البعثةأنهم كانوا ينقلون إلى بيته أموالهم وودائعهم أمانة عنده ليحفظها لهم، وبقيت لديه εإلى أن هاجر من مكة إلى المدينة فأمر علي بن أبي طالب τأن يتخلف حتى يؤدي عن النبي ε الودائع التي كانت عنده وليس بمكة أحد عنده شيء يخشى عليه إلا وضعه عندالنبيρ، لما يعلم من صدقه وأمانته (٥٢)، كما حث النبي ε على المحافظة على أداء الأمانة وجعلها ε دليلاً على كمال الإيمان، وإن الإخلال بها يدل على النفاق قال ε "أربع من كن فيه كان منافقًا خالصًا ومن كانت فيه خصلة منهن، كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا اؤْتُمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر"(٥٣). هذه

(٤٩) يراجع: ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/١٩٧والهيثمي، علي بن أبي بكر (ت ٨٠٧هـ) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تحقيق: حسام الدين القدسي، ط١، القاهرة، مكتبة القدس، ١٤١٤هـ، ج٣/٢٩٢.

(٥٠) هرقل ملك الروم (٦١٠م-٦٤١م)، يُعد من أعظم الأباطرة في التاريخ البيزنطي، يراجع، محمد محمد مرسي الشيخ، تاريخ الأمبراطورية البيزنطية، ط١، الأسكندرية، دار المعرفة، ١٩٩٢م، ص٧٢-٧٦.

(٥١) البخاري، كتاب الشهادات، باب من أمر بإنجاز الوعد، رقم الحديث (٢٦٨).

(٥٢) يراجع، ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/٤٨٥.

(٥٣) البخاري، كتاب الإيمان، باب علامة المنافق، رقم الحديث (٣٤).

التوجيهات النبوية قد تلقاها الصحابة الكرامψ وجاء التوكيد عليها جليًا في حوار جعفرτ مع ملك الحبشة، مما يدل على فهم ووعي الصحابةψ لرسالة الإسلام.

ثانيًا: قيم المحافظة على صلة الرحم

من القيم الواردة في حوار جعفرτ مع ملك الحبشة التوكيد على صلة الرحم في المجتمع، ويستفاد مما أوردته كتب السيرة النبوية أن من القيم البارزة عند العرب في الجاهلية المحافظة على صلة الرحم وحسن الجوار. ومن أقوالهم المشهورة عند ظهور الإسلام أسألك الله والرحم، وناشدتك الله والرحم [٥٤].

وقد نزلت آيات القرآن الكريم تترى مؤكدة لهذه القيم الحميدة الفاضلة، وتحث على الإحسان إليها والإحساس بوشائجها وأداء حقوقها، قال تعالى: چ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹٹ ٹ ٹ ڤ ڤ چ [٥٥] أي أن الله عز وجل "قرن الأمر بتقواه بالأمر بصلة الأرحام والنهي عن قطيعتها ليؤكد هذا الحق، وأنه كما يلزم القيام بحق الله كذلك يجب القيام بحقوق الخلق، خصوصًا الأقربين منهم، بل القيام بحقوقهم وهو من حق الله الذي أمر به" [٥٦]، ويكفي بيان أهمية قيم صلة الأرحام التي أشار إليها جعفرτ في حواره مع ملك الحبشة، وضرورة المحافظة عليها أنها جاءت في عدد من الآيات القرآنية قال تعالى: چ ۈ ۋ ۇ ۆ ۆ ۇ ۇ ۆ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە چ [٥٧].

كما حذر الله عز وجل من قطع الرحم وعدم الوصل بذوي القربى قال تعالى: چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ چ [٥٨].

---

(٥٤) ابن هشام السيرة النبوية، ج١/٢٩٤، الصالحي، سبل الهدى والرشاد، ج٢/٣٣٦ – ٣٣٧.

(٥٥) سورة النساء، آية: ١.

(٥٦) عبدالرحمن السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبدالرحمن بن معلا اللويحق، ط٣، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٦هـ، ص ١٦٣.

(٥٧) سورة الأنفال، آية: ٧٤ – ٧٥.

(٥٨) سورة محمد، آية: ٢٣.

وقال تعالى: چ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ چ (٥٩).

وقد اشتُهر النبي ρ في المجتمع الجاهلي الوثني بالمحافظة على قيم صلة الرحم ويؤيد ذلك ما قالته خديجة رضي الله عنها للنبيρ عند نزول الوحي ، مطمئنة له ومهدئة من روعه: كلا والله لا يخزيك الله أبدًا – إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق (٦٠) ، وقولها إنك لتصل الرحم فيه دلالة على أنه ρ قد كان مشهورًا بهذا الخلق العظيم.

وتشير كتب السيرة أنه لما نزل الأمر بالإنذار، دعا النبي ε عشيرته الأقربين ونادى بطون قريش في مكة فاجتمعوا، فعم وخص، وقال: يا بني كعب بن لؤي أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني مرة بن كعب أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد شمس أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد مناف أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبدالمطلب أنقذوا أنفسكم من النار، يا فاطمة أنقذي نفسك من النار، فأني لا أملك لكم من الله شيئًا، غير أن لكم رحمًا(٦١).

فصلة الرحم من القيم الأخلاقية التي أمر بها الدين الحنيف منذ أن صدع النبي ε بالدعوة في المجتمع المكي الجاهلي الوثني، ويشهد بذلك ما تضمنه الحوار الذي دار بين زعيم قريش أبي سفيان وهرقل ملك الروم" إذ سأل هرقل أبا سفيان فقال: فماذا يأمركم به نبيكم؟ فأجابه يقول: اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئًا واتركوا ما يقول آباؤكم، ويأمرنا بصلة الرحم...(٦٢).

ولهذا كان الصحابة الكرام ψ يهتمون بصلة الرحم ويأمرون بها فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول

---

(٥٩) سورة الرعد، آية: ٢٥.

(٦٠) أخرجه البخاري. كتاب تفسير القرآن، رقم الحديث(٤٩٥٣) ومسلم، كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول اللهρ، رقم الحديث(١٦٠)

(٦١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/٢٠١.

(٦٢) البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف بدءُ الوحي إلى رسول الله ε رقم الحديث (٧).

الله ε يقول: "من سره أن يبسط له في رزقه، وأن يُنسأ له في أثره، فليصل رحمه" (٦٣).

وهذه التوجيهات النبوية تأتي منظمة لهذه القيم الكريمة داخل المجتمع المسلم، وذلك لتقوم هناك علاقات إنسانية منتظمة تعزز وتقوي المودة وتذهب العداوة والشحناء.

ثالثًا: قيم المحافظة على حسن الجوار

من القيم البارزة أيضًا في حوار جعفرτ مع ملك الحبشة حسن الجوار، وهو من الأهداف التي من أجلها قدم الصحابةψ فرارًا بدينهم من اضطهاد الزعامة الوثنية في مكة، ومعنى الجُوار بالضم إذا لاصقه في السكن والجمع جيران، ويأتي الجوار أيضًا لمن يجير غيره ويؤمنه مما يخاف، والجار المستجير وهو الذي يطلب الأمان، ويأتي الجوار بمعنى الحليف والجار الناصر له والمؤيد له (٦٤)، وما ورد في حوار جعفرτ يُظهر أن المراد به جوار الحماية والنصرة، وهذا النوع من قيم الجوار كان مشهورًا ومنتشرًاعند العرب في الجاهلية يذبون عن الجوار، ويمنعون من حالفهم أو استجار بهم، واستمر ذلك بعد البعثة النبوية فقد دخل النبي ε بعد عودته من الطائف في جوار المطعم بن عدي. بعد رفض عدة زعامات مكية تقديم الحماية للنبي ε في حين استجاب المطعم بن عدي ليكون في جواره، وليدخل النبي ε مكة معززًا مكرمًا بحماية المطعم بن عدي وقومه وولده، ولقد حفظ النبي ε هذا الجميل للمطعم بن عدي، فقال عن أسارى بدر "لو كان

(٦٣) البخاري، كتاب الأدب، باب من بسط له في الرزق بصلة الرحم، رقم الحديث(٥٩٨٥) والأدب المفرد، تحقيق: عادل سعد، ط١، مكة المكرمة، مكتبة نزار مصطفى الباز، ١٤٢٥هـ، باب صلة الرحم تزيد في العمر، رقم الحديث (٥٦)، ص ١٨.

(٦٤) الفيومي، أحمد بن محمد (ت ٧٧٠هـ)، المصباح المنير، ط١، بيروت، مكتبة لبنان ١٩٩٠، ص ٤٤، (الجيم مع الواو).

المطعم بن عدي[٦٥] حيًا ثم كلمني في هؤلاء... لتركتهم له" [٦٦] وأهم ما يستفاد من هذا الجوار تقديم الحماية للدعوة واستمرارها في المجتمع المكي.

ومن المواقف الدالة على أهمية قيم حسن الجوار في هذه المرحلة تقديم الحماية لأبي بكر الصديق τحين أراد الخروج من مكة إلى الحبشة وفي طريقه إليها لقيه ابن الدغنة [٦٧] سيد القارة [٦٨] فقال له: أين تريد يا أبا بكر؟ فقال: آذاني قومي وأخرجوني، وضيقوا علي، فأريد أن أسيح في الأرض وأعبد ربي فطلب منه العودة إلى مكة، وأدخله في جواره قائلاً له: مثلك يا أبا بكر لا يخرج ولا يخرج، إنك تكسب المعدوم، وتصل الرحم، وتحمل الكل، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق، فأنا لك جار. فاشترطت عليه قريش لقبول هذا الجوار أن يأمر أبا بكر فيعبد الله في داخل داره، ففعل أبو بكر ما طُلب منه وبنى مسجدًا في فناء داره ليصلي فيه فكان إذا صلى وقرأ القرآن وقف عليه نساء المشركين وأبناؤهم، يعجبون منه لأنه كان يبكي وهو يقرأ القرآن فأفزع ذلك قريشًا خشية إيمان الناس بالقرآن، فطلبوا من ابن الدغنة أن يطلب من أبي بكر عبادة ربه في داخل داره من حيث لا يسمعه أحد، وليس في فناء الدار حيث يسمعه الناس وجاء ابن الدغنة وقال له: فإما أن تقتصر على ذلك وإما أن ترد ذمتي...،

---

(٦٥) المطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف بن قصي، من كبار قريش في زمانه، ولكنّه توفي ولم يعتنق الإسلام، والد الصحابي الجليل جبير بن مطعمτ، يراجع، خليفة بن خياط، الطبقات، ص٩والذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣/٩٥

(٦٦) البخاري، كتاب فرض الخميس، باب ما من النبي ε على الأسارى من غير أن يخمس، رقم الحديث (٣١٣٩).

(٦٧) ابن الدغنة: بضم المهملة وتشديد النون وهي أمه وقيل أم أبيه وقيل دابته واختلف في اسمه قيل إنه الحارث بن يزيد، وقيل اسمه مالك. يراجع: ابن حجر، فتح الباري، ج٧/٢٣٣.

(٦٨) سيد القارة: بالقاف وتخفيف الراء وهي قبيلة مشهورة من بني الهون بن خزيمة بن مدركة حلفاء بني زهرة من قريش، ابن حجر، المصدر السابق، ٢٣٣.

فرد عليه أبو بكر قائلاً: فإني أرد عليك جوارك، وأرضى بجوار الله ورسوله (٦٩).

ويمكن القول إن قيم حسن الجوار قد استُكمل بناؤها في نفوس الصحابة الكرام ψحيث إن هذه القيم الحميدة كانت متأصلة في العرب منذ الجاهلية، وكان لهذا أثر إيجابي لمصلحة الدعوة في جميع مراحلها، فقد قبل النبي ε جوار أم هانئ(٧٠) رضي الله عنها عام الفتح قال لها ε "قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ"(٧١) .

ويتجلى هذا النوع من القيم أيضًا في موقف العباس بن عبدالمطلب τ عم النبيε حين كان على دين قومه وحضر مع النبي ε بيعة العقبة الثانية(٧٢). وقال لهم: "يا معشر الخزرج، إن محمدًا منا حيث قد علمتم، وقد منعناه من قومنا من هو على مثل رأينا فيه فهو في عز من قومه، ومنعة في بلده، أبى إلا الانحياز إليكم واللحوق بكم، فإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج به إليكم، فمن الآن فدعوه، فإنه في عز ومنعة من قومه وبلده (٧٣).

على أي حال فإن قيم حسن الجوار تكفل التأمين والحماية للقضاء على الظلم وتحقيق العدل الذي به تنعم البشرية بالأمن والاستقرار والتعايش السلمي بينها.

---

(٦٩) يراجع، ابن هشام، السيرة النبوية، ج١٦/١ – ١٧ والبخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي وأصحابه إلى المدينة رقم الحديث (٣٩٠٥).

(٧٠) أم هانئ بنت أبي طالب بن عبدالمطلب بن هاشم – واسمها فاخته وقيل اسمها هند والأول أشهر وكانت زوجة هبيرة بن أبي وهب بن عمرو المخزومي. يراجع: ابن سعد، الطبقات، ج١٥١/٨، ابن حجر، الإصابة، ج٥٠٣/٤.

(٧١) البخاري، كتاب الجزية والموادعة، باب أمان النساء وجوارهن، رقم الحديث (٣١٧١).

(٧٢) كانت هذه البيعة في موسم الحج من العام الثالث عشر للبعثة النبوية.يراجع، ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤٤٥/٢

(٧٣) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤٤٦/٢ وابن سعد، الطبقات، ج٢٢١/٢.

رابعًا: قيم المحافظة على كرامة الإنسان

مر بنا في حوار جعفر بن أبي طالب τمع ملك الحبشة عرض مجموعة من القيم الإنسانية التي تعزز كرامة الإنسان في المجتمع المسلم مقارنة بالقيم التي كانت مشهورة في المجتمع الوثني عند البعثة النبوية، وتتمثل هذه القيم في الآتي:

١- تحقيق التوحيد وسلامة المعتقد في المجتمع.

٢- القيم السلوكية(التورع عن المحرمات والفواحش وقول الزور).

٣- حفظ الأعراض وتحريم قذف المحصنات.

٤- رعاية اليتيم وصيانة حقوقه. ويمكن بيان ذلك في الآتي:

١ – تحقيق التوحيد وسلامة المعتقد في المجتمع:

تقرير التوحيد وسلامة المعتقد يعد الأساس الذي قامت عليه دعوة الأنبياء والرسل عليهم السلام لإنقاذ البشرية من الجهل والضلال بسبب الانحراف عن الصراط المستقيم.

وإذا تأملنا الآيات القرآنية التي نزلت في العهد المكي من عصر النبوة نجد أنها تركز على ترسيخ عقيدة التوحيد لله بالعبادة والألوهية له وحده لا شريك له، وتنبذ الشرك وعبادة الأصنام والمعتقدات الفاسدة التي كانت مهيمنة في المجتمع الوثني، ولهذا فإن النبي ε جعل الغاية من دعوة الناس في هذه المرحلة هو تحقيق التوحيد والقضاء على المعتقدات الوثنية المهيمنة ، قال ε "أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله" (٧٤).

(٧٤) أخرجه مسلم، مسلم بن الحجاج (ت٢٦١هـ) الصحيح، كتاب الإيمان، باب: الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام، رقم الحديث (٢١)، ط١، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ، ص ٧٢.

فقد كانت البيئة القرشية الوثنية تعترف بأن الله هو الخالق لهذا الكون، والمدبر لجميع أموره كما قال تعالى: ﭽ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﭼ [٧٥] .

ويلاحظ أن هؤلاء المشار إليهم في هذه الآيات يقرون بأن الله هو الخالق، إلا إنهم عبدوا معه آلهة أخرى أندادًا أو شركاء لله لتشفع لهم عنده أو تقربهم إليه زلفى [٧٦] قال تعالى: ﭽﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﭼ [٧٧].

وقد وصف هؤلاء بالمشركين مع محافظتهم على تعظيم الكعبة، فقد انتشرت في هذه المرحلة عبادة الأصنام أو الأوثان [٧٨]، فقد دخلت هذه الأصنام معظم البيوت ، وقد ورد ذكر بعض هذه الأصنام المشهورة في المجتمع الوثني قال تعالى: ﭽ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﭼ [٧٩] . وقال تعالى: ﭽ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﭼ [٨٠] .

وقد كانت قريش تعظم هذه الأصنام خاصة (هبل) [٨١]، فيتوسلون إليه ليمُنَ عليهم بالخير والبركات، ولما أراد النبيρ

---

(٧٥) سورة العنكبوت، آية: ٦١ .

(٧٦) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمرو (ت٧٧٤هـ)، تفسير القرآن العظيم، صححه: خليل الميسي، ط٢، بيروت، دار القلم، دت، ج٢/٤٦٥.

(٧٧) سورة إبراهيم، آية: ٣٠.

(٧٨) الوثن يكون من حجارة أما الصنم فيكون من خشب أو ذهب أو فضة على صورة إنسان، يراجع: ابن الكلبي، هشام ابن محمد (ت ٢٠٤هـ) كتاب الأصنام، ط٢، القاهرة، د. ت، ١٩٢٤، ص ٥٣.

(٧٩) سورة نوح، آية: ٢٣.

(٨٠) سورة النجم، آية: ١٩ — ٢٠.

(٨١) هبل: من أعظم أصنام قريش، ولم يذكر في القرآن الكريم مع الأصنام، وكلمة هبل آرامية تعني الروح أو النجار، وهو صنم على شكل إنسان كثير اللحم أمامه السهام. يراجع: ياقوت، معجم البلدان، ج٨/٤٦٧.

الانصراف عن أحد، علا صوت أبي سفيان: أُعلُ هبل، أُعلُ هبل. وكانوا يتفاخر بأن لقريش العزى وليس للمسلمين ذلك (٨٢).

كما كان هناك مجموعة كبيرة من الأصنام حول الكعبة تقدر بحوالي (٣٦٠) صنمًا (٨٣)، ولم يكن في قريش رجل إلا وفي بيته صنم إذا دخل يمسحه، وإذا خرج يمسحه تبركًا به (٨٤) مما يدل على مدى انحراف المجتمع الوثني القرشي عن الصراط المستقيم، ولا يخفى أن عبادة الإنسان وسجوده لوثن أو حجر بحد ذاته يُعد استهتاراً بالكرامة الإنسانية والقيم التي خُلق من أجلها، ولهذا عارض المجتمع الوثني دعوة النبي ε بحجة أن ما يدعوهم إليه مخالف لما كان عليه الآباء والأجداد من تعظيم لهذه الأوثان قال تعالى: چ ڤ ڤ ڤ ڤ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ٹ ٹ ٹ ٹ چ (٨٥).

وفي مقابل استمرار النبيε في دعوته لتحقيق التوحيد وسلامة المعتقد أخذ هؤلاء المشركون في التضييق عليه ε وعلى الصحابة الكرام ψواضطهادهم، واتهموا النبي ε بأنه مجنون أو ساحر أو كاهن أوشاعر وقد رد الله عز وجل هذه الأقوال الباطلة، قال تعالى: چ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ چ (٨٦).

وقد ورد في كتب السيرة تفاصيل المعارضة القرشية الوثنية (٨٧) لدعوة النبيρ لإقرار التوحيد وسلامة المعتقد في المجتمع،

---

(٨٢) يراجع ابن هشام، السيرة النبوية، ج٣/٩٣ وجواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط١، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٧١م، ج٦/٢٣٧.

(٨٣) الفاسي، محمد بن أحمد (ت٨٣٢هـ)، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ج٢/٢٨٠.

(٨٤) الأزرقي، محمد بن الوليد (ت في حدود٢٥٠هـ)، أخبار مكة وما جاء بها من الآثار، ص ١٢٣.

(٨٥) سورة لقمان، آية: ٢١.

(٨٦) سورة الحاقة، آية ٤٠ – ٤٣.

(٨٧) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢/٢٨، وابن سعد، الطبقات، ج١/٢٠١-٢١٢ الواقدي، المغازي، ج١/٢٠.

وكان ذلك من الأسباب المباشرة التي حملت الزعامة الوثنية القرشية على اضطهاد الصحابة ψ وتعذيبهم للرجوع عن دينهم وعقيدتهم، فهذا بلال بن رباحτ يُخرجه سيده إذا حميت الظهيرة، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره، ثم يقول له: لا والله، لاتزال هكذا حتى تموت، أوتكفر بمحمد، وتعبد اللات والعزى. فيقول وهو في ذلك: أحدُ أحد(٨٨)، وكان أبو جهل "إذا سمع بالرجل قد أسلم، وله شرف ومنعة أنبه وقال: تركت دين أبيك وهو خير منك، لنسفهن حلمك، ورأيك، ولنضعفن شرفك، وإن كان تاجرًا قال: والله لنكسدن تجارتك ولنهلكن مالك، وإن كان ضعيفًا ضربه وأغرى به"(٨٩). وكان عم الزبير بن العوام رضي الله عنه يعلقه في حصير، ويدخن عليه النار، ويقول: "ارجع إلى الكفر، فيقول الزبير: لا أكفر أبدًا"(٩٠) .والنماذج الدالة على مظالم قريش للصحابة الكرام ψكثيرة ، وقد كانت من الأسباب المباشرة التي دفعت النبي ρ إلى التفكير في البحث عن موطن آمن يهاجر إليه الصحابة ليأمنوا على أنفسهم ودينهم وعقيدتهم.

(٨٨) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/٣١٨

(٨٩) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/٣٢٠

(٩٠) يراجع، الهيثمي، مجمع الزوائد، ج٩/١٥١

٢ – القيم السلوكية (التورع عن المحرمات والفواحش وقول الزور):

من القيم البارزة التي تضمنها حوار جعفرτ مع ملك الحبشة الكف والتورع عن المحرمات والفواحش وقول الزور، وغيرها من السلوكيات التي كانت شائعة عند البعثة النبوية.

يستفاد مما أوردته كتب السيرة أن المجتمعات الوثنية الجاهلية قد مارست بعض الأنماط السلوكية التي ترسخت فيما بينهم حتى صارت عرفًا وعادة متأصلة، فقد استباح المجتمع القرشي الوثني أكل الميتة والدم المسفوح فقد كان الواحد منهم إذا جاع ولم يجد شيئًا يأكله يقوم بفصد عرقًا من بعيره أو حيوانًا من أي صنف كان فيجمع ما يخرج منه من الدم فيشربه، ولهذا حرم الله الدم على هذه الأمة (٩١) قال تعالى: چ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ چ(٩٢)

ومن الممارسات السلوكية المتفشية في المجتمع الوثني شرب الخمر والمفاخرة بشربها، وتعاطي الميسر والقمار قال تعالى: چ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ چ (٩٣).

كما تفشى فيهم الظلم والقسوة في التعامل مع الناس بالمعاملات الربوية قال تعالى: چ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ چ (٩٤).

كما استباح المجتمع القرشي الوثني الجمع بين الأختين في النكاح، فقد جمع أبو أحيحة سعيد بن العاص (٩٥) بين صفية وهند بنتي المغيرة بن عبدالله بن مخزوم، كذلك مارسوا نكاح المقت

---

(٩١) يراجع، ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمرو (ت٧٧٤هـ)، تفسير القرآن العظيم، علق عليه: خليل الميسي، ط٢، بيروت، دار القلم، ١٤٠٤هـ، ج٢/١٠.

(٩٢) سورة الأنعام، آية: ١٤٥.

(٩٣) سورة المائدة، آية: ٩١.

(٩٤) سورة البقرة، آية: ٢٧٥.

(٩٥) أبو أحيحة سعيد بن العاص بن أمية من أعيان قريش قيل إنه لم يدرك الإسلام وقيل غير ذلك. يراجع: ابن حجر، الإصابة، ج٢، ص ١٢٦.

وهو أن يرث الولد الأكبر نساء زوجات أبيه عدا أمه بعد وفاته، ويسمى هذا الأبن الوريث لزوجة أبيه الضزين (٩٦).

وربما يدخل في دائرة الكف عن المحرمات التورع عن بعض أنواع النكاح التي كانت شائعة في المجتمع عند البعثة النبوية وحرمها الإسلام، فقد ورد في حديث عائشة رضي الله عنها قالت: "أن النكاح في الجاهلية كان على أربعة أنحاء فنكاح منها نكاح الناس اليوم يخطب الرجل إلى الرجل وليته أو ابنته فيصدقها ثم ينكحها ونكاح آخر كان الرجل يقول لامرأته إذا طهرت من طمثها أرسلي إلى فلان فاستبضعي منه ويعتزلها زوجها ولا يمسها أبدًا حتى يتبين حملها من ذلك الرجل الذي تستبضع منه فإذا تبين حملها أصابها زوجها إذا أحب وإنما يفعل ذلك رغبة في نجابة الولد فكان هذا النكاح نكاح الاستبضاع ونكاح آخر يجتمع الرهط ما دون العشرة فيدخلون على المرأة كلهم يصيبها فإذا حملت ووضعت ومر عليها ليال بعد أن تضع حملها أرسلت إليهم فلم يستطع رجل منهم أن يمتنع حتى يجتمعوا عندها تقول لهم قد عرفتم الذي كان من أمركم وقد ولدت فهو ابنك يا فلان تسمي من أحبت باسمه فيلحق به ولدها لا يستطيع أن يمتنع به الرجل ونكاح الرابع يجتمع الناس الكثير فيدخلون على المرأة لا تمتنع ممن جاءها وهن البغايا كن ينصبن على أبوابهن رايات تكون علما فمن أرادهن دخل عليهن فإذا حملت إحداهن ووضعت حملها جمعوا لها ودعوا لهم القافة ثم ألحقوا ولدها بالذي يرون ودعي ابنه لا يمتنع من ذلك فلما بعث محمد ρ بالحق هدم نكاح الجاهلية كله إلا نكاح الناس اليوم " (٩٧).

---

(٩٦) ابن حبيب، المحبر، ج٣٢٥. عواطف سلامة، قريش قبل الإسلام، ص ٥١.

(٩٧) البخاري، كتاب النكاح، باب من قال: لا نكاح إلا بولي، رقم الحديث (٥١٢٧).

وكان تعدد الزوجات في المجتمع الوثني مستساغًا وشائعًا حيث يتزوج الرجل من الزوجات بدون عدد، فأمر النبي ε من أسلم من هؤلاء وأسلمن زوجاته أن يتخير من زوجاته أربعًا منهن [٩٨].

كما كان هؤلاء الجاهليون يحرمون شرب اللبن على إناثهم ويشربه ذكرانهم، وكانت الشاة إذا ولدت ذكرًا ذبحوه وكان للرجال دون النساء، وإن كانت أنثى تركت فلم تذبح، وإن كانت ميتة فهم شركاء فنهى الله عن ذلك [٩٩] قال تعالى: ﭽ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﭼ [١٠٠].

ومن السلوكيات المحرمة والمشهورة في المجتمع الوثني وأد البنات أي دفن البنت حية، قال تعالى: ﭽ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭼ [١٠١].

ولعل من أبرز أسباب الوأد قبل بعثة النبي ε خوف العار، والعيوب الخلقية كمن ولدت سوداء، وأنهن من أسباب الفقر قد كشف القرآن الكريم فعلهم هذا وحرم عليهم هذه الأعمال والسلوكيات قال تعالى ﭽ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﭼ [١٠٢] وقوله تعالى: ﭽ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﭼ[١٠٣].

وبين النبي ε حرمة هذه السلوكيات والقيم الجاهلية بعد أن سُئِلε: "أي الذنب أعظم عند الله؟ قال: أن تجعل لله ندًا وهو خلقك. قلت: إن ذلك لعظيم. قلت: ثم أي؟ قال: ثم أن تقتل ولدك

---

(٩٨) الترمذي، محمد بن عيسى (ت٢٧٩هـ)، سنن الترمذي، علق عليه: محمد ناصر الدين الألباني، ط٢، الرياض، مكتبة المعارف، ١٤٢٩هـ، كتاب النكاح عن الرسول ε، باب ما جاء في الرجل يسلم وعنده نسوة، رقم الحديث (١١٢٨).

(٩٩) يراجع ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج١٥٨/٢.

(١٠٠) سورة الأنعام، آية: ١٣٩.

(١٠١) سورة التكوير، آية ٨ – ٩.

(١٠٢) سورة النحل، آية: ٥٨ – ٥٩.

(١٠٣) سورة الإسراء، آية: ٣١.

تخاف أن يطعم معك. قلت: ثم أي؟ قال: ثم أن تزاني بحليلة جارك" (١٠٤).

وهذا فيه دلالة على أن هذه السلوكيات في المجتمع الوثني الجاهلي من أعظم الفواحش التي وجه النبي ε بالابتعاد عنها لحرمتها، ولما لها من آثار سلبية على الفرد والمجتمع وفيه بيان بأن المنهج القويم في تعظيم هذه المحرمات.

ومن القيم السلوكية الشائعة والتي أبطلها الإسلام أكل أموال الناس بالباطل عن طريق المعاملات الربوية حيث يعد من الأرباح التي يحصل عليها صاحب المال دون النظر إلى ما يترتب عليه من أضرار على أخيه الإنسان، المهم الحصول على أكبر قدر من المال، فكان أحدهم إذا حل ماله عند غريمه يقول له: زدني في الأجل وأزيدك في مالك (١٠٥).

ومن السلوكيات التي توارثها أهل الجاهلية الأخذ بالثأر والافتخار بالأجداد والآباء والعشائر، فأبطل الإسلام ذلك كله وبين أن دماء الجاهلية كلها موضوعة لأنها مبنية على غير أسس صحيحة، وأن قاعدة التفاضل ليست بالآباء والأجداد، وإنما هي التقوى، قال تعالى: چ ڇ ڃ ڃ ڄ ڄ
ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃڃ چ ڇ ڍ ڌ ڌڎ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ چ (١٠٦).

وقال النبي ε "لا فضل لعربي على عجمي ولا أبيض على اسود إلا بالتقوى" (١٠٧).

ويضاف إلى ذلك انتشار الفواحش في المجتمع خاصة فاحشة الزنا والعياذ بالله، دون النظر على وقوع العار في الانتساب إلى هذه الفاحشة، قيل للنبي ε "إن فلانًا ابني عاهرت

---

(١٠٤) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب قتل الولد خشية أن يأكل معه رقم الحديث (٦٠٠١).

(١٠٥) يراجع، الطبري، البيان في تفسير آي القرآن، تحقيق:بشار عواد معروف، ط١، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٥هـ، ج١٧١/٢

(١٠٦) سورة الحجرات، آية: ١٣.

(١٠٧) ابن حنبل، أبو عبدالله أحمد بن محمد (ت٢٤١هـ) المسند، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ط١، بيروت، دار الرسالة، د. ت، ج١٨٠/٢ رقم الحديث (٦٦٨١) .

بأُمِهِ في الجاهلية فقال رسول الله ε لا دعوة في الإسلام ذهب أمر الجاهلية الولد للفراش وللعاهر الحجر..." (١٠٨).

ومن القيم السلوكية العبادية التي أبطلها الإسلام كذلك صلاة أهل الجاهلية وصيامهم وقد ذكر القرآن الكريم صلاتهم وكيفتها في قوله تعالى: چڈ ڈ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ چ[١٠٩] أي أن صلاتهم كانت على هيئة الصفير والتصفيق، ويؤدون الصلاة أثناء طوافهم حول الكعبة (١١٠).

ومن السلوكيات الجاهلية التي عايشها جعفرτأيضًا إدخال بعض الشعائر البدعية في مناسك الحج والعمرة وصارت لهم سلوكًا وعقيدة غيروا بها ملة إبراهيم υ، فغيروها بذرائع مختلفة فتوارثوها واعتبروها من القيم التي يفتخرون بها ويحافظون عليها إلى أن أبطلها الإسلام، ومن ذلك الحمس(١١١)، قال ابن إسحاق: وقد كانت قريش – لا أدري أقبل الفيل أم بعده_ ابتدعت أمر الحُمْس رأيًا رأوه فأرادوه، فقالوا: نحن بنو إبراهيم وأهل الحُرمة وولاة البيت، وقطان (١١٢) مكة وساكنها، فليس لأحد من العرب مثل حقنا، ولا مثل منزلتنا، ولا تعرف له العرب مثل ما تعرف لنا، فلا تعظموا شيئًا من الحل كما تعظمون الحرم، فإنكم إن فعلتم ذلك، استخفت العرب بحرمتكم، وقالوا قد عظموا من الحل مثل ما

---

(١٠٨) أخرجه أبو داود، السنن، كتاب الطلاق، باب الولد للفراش، رقم الحديث (٢٢٧٣) وصححه المحقق ناصر الدين الألباني، ص ٣٩٧.

(١٠٩) سورة الأنفال، آية: ٣٥.

(١١٠) يراجع، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٢/٢٦٦.

(١١١) الحمس: جمع الأحمسي، وهم قريش، ومن ولدت من العرب من ساكني الحل والحرم، وسمو حمسا لأنهم تحمسوا في دينهم أي تشددوا فيه يقولون نحن أهل الله فلا نخرج من الحرم. يراجع ابن الأثير، مجد الدين أبي السعادات المبارك محمد الجزري (ت٦٠٦هـ)، النهاية في غريب الحديث، تعليق: رائد بن صبري بن أبي علفة، ط٣، عمان، بيت الأفكار الدولية، ٢٠٠٣، ص ٢٣٣.

(١١٢) القطان: بالمكان أقام به وتوطنه فهو قاطن به والجمع قطان. الرازي، محمد بن أبي بكر (ت٦٦٦هـ)، مختار الصحاح، ط١، بيروت، مكتبة لبنان، ٢٠٠٦م، ص٢٢٧.

عظموا من الحرم، ولهذا ابتدعوا عدم الوقوف بعرفة والإفاضة منها، وهم يعرفون ويقرون أنها من المشاعر والحج ودين إبراهيم ويرون لسائر العرب أن يقفوا عليها، وأن يفيضوا منها، إلا أنهم قالوا: نحن أهل الحرم فليس ينبغي لنا أن نخرج من الحرمة ولا نعظم غيرها كما نعظمها نحن الحُمْس، والحمس أهل الحرم (١١٣).

وقد خالف النبي ε قبل البعثة الحمس فلم يدخل في شعائرهم البدعية، فقد كان ε يقف بعرفة مع الحجاج (١١٤).

ويضاف إلى ذلك أيضًا أنهم كانوا ينسؤون الشهور – يؤخرونها – فربما وقع الحج في شهر القعدة، وربما وقع في المحرم، وربما في غيره، وكان ذلك من فعل إبليس ألقاه على ألسنتهم فرأوه حسنا (١١٥).

وكانوا يرون أن أفجر الفجور العمرة في أشهر الحج. وكانوا يقولون: إذا برأ الدبر، وعفا الوبر، ودخل صفر، حلت العمرة لمن اعتمر يعنون بذلك إذا برأ دبر الإبل التي حجوا عليها وعفا وبرها، أي كثر فخالفهم النبي ε وأبطل هذا بقوله: دخلت العمرة في الحج "لا بل لأبدِ الأبدِ" (١١٦). وهذا فيه دلالة على مدى عناية النبي ε بشعائر الحج والعمرة وتنقيتها مما علق بها من ممارسات وعادات الجاهلية في سبيل المحافظة على القيم التي شرعها الدين الحنيف لمناسك الحج، ورفض التميز بين الناس في آداء المناسك وهذا مقتضى تحقيق المساواة في الكرامة الإنسانية، وأن التعددية القبلية والعشائرية ليس مبررًا لاستعلاء قريش على غيرها من القبائل الأخرى والاستهانة بالكرامة الإنسانية بالطواف حول الكعبة عراة وشيوع الفاحشة في المجتمع الجاهلي الوثني، وقد تم تحريمها في الإسلام لصيانة كرامة الإنسان في المجتمع.

---

(١١٣) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/١٩٩ – ٢٠٣.

(١١٤) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/٢٠٢.

(١١٥) يراجع، الأزرقي، أخبار مكة، ص ١٨٣ – ١٨٤.

(١١٦) مسلم، كتاب الحج، باب حجة النبي ε رقم الحديث (١٢١٨).

٣ – قيم المحافظة على الأعراض وتحريم رمي المحصنات:

من القيم التي تضمنها حوار جعفرτ مع ملك الحبشة التوكيد على التوجيه النبوي في النهي عن قذف المحصنات والمحافظة على الأعراض.

المحافظة على العرض يعد من أعظم القيم الإنسانية وهو الضرورة الثالثة من الضرورات الخمس للمحافظة على أمن المجتمعات، وهي (الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال) (١١٧).

والعرض والمحافظة على النسل من أعز ما يملك الإنسان في حياته، فقد كانت المجتمعات الجاهلية على الرغم من شيوع أنواع النكاح الباطلة وتفشي الزنا في المجتمع كما مر بنا إلا أنه يوجد لديهم غيرة على العرض، ورد في كتب السيرة قصة والد النبي ε مع المرأة التي راودته عن نفسه، وفرضت له مالاً، فأبى الخنا والعار، وقال وهو في جاهليته أما الحرام فالحِمَامُ دونه.. والحل لا حل فأستبينه يحمي الكريم عرضه ودينه... كيف بالأمر تبغينه (١١٨).

وقال عثمان بن عفان τ: "والله ما زنيت في جاهلية ولا إسلام" (١١٩) وهذا فيه دلالة على أهمية العرض وصونه في

(١١٧) الغزالي، محمد بن محمد (ت٥٠٥هـ)، المستصفى في علم الأصول، تحقيق: حمزة بن زهير حافظ، ط١، المدينة، شركة المدينة للنشر، ١٤١٣هـ، ج١٦٢/٢، وصالح بن عبدالعزيز آل الشيخ، المصالح العليا للأمة وضرورة رعايتها والمحافظة عليها، ط١، الرياض، د. ن، ١٤٢٥هـ، ص ٦ – ٧.

(١١٨) يراجع، السهيلي، عبدالرحمن بن عبدالله (ت٥٨١هـ)، الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام، علق عليه: مجدي بن منصور الشوري، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ، ج٢٧٤/١.

(١١٩) أخرجه محمد ناصر الدين الألباني، صحيح سنن ابن ماجة، ط١، الرياض، مكتب التربية العربي لدول الخليج، ج٧٧/٢، رقم الحديث (٢٥٣٣).

الجاهلية، وفي الإسلام من باب أولى، قال تعالى: چژ ژ ڑڑ ک ک ک گ گ چ(١٢٠).

هنا وصف الله الزنى وقبحه بأنه (كان فاحشة) أي: إثمًا يستفحش في الشرع والعقل، لتضمنه التجري على الحرمة في حق الله، وحق المرأة، وحق أهلها، وأزواجها وإفساد الفراش، واختلاط الأنساب وغير ذلك من المفاسد (١٢١) فقد أتى شاب إلى النبي ε فقال: يا رسول الله ائذن لي بالزنا فأقبل عليه الصحابة الكرام ψ فزجروه وقالوا: مه مه ، فقال له النبي ε أتحبه لأمك؟ قال: لا والله جعلني الله فداءك قال: ولا الناس يحبونه لأمهاتهم قال: أفتحبه لابنتك قال: ولا والله يا رسول الله جعلني الله فداءك ولا الناس يحبونه لبناتهم قال: أفتحبه لأختك قال: لا والله جعلني الله فداءك قال: ولا الناس يحبونه...." (١٢٢). هذا التوجه النبوي فيه حماية للمجتمع وصيانة للأعراض بالوسائل الوقائية التي يجب على المسلم القيام بها حماية لعرضه وصونًا لكرامته وللمحافظة على النسل، كما يتجلى فيه أسلوب النبي ε العظيم في المحاورة والمناقشة والإقناع بالخطأ ليسير أبناء الأمة على المنهج الصحيح من أجل أن تتحقق كرامة الإنسان. وقد تكفل الله عز وجل لمن اجتنب الكبائر أن يدخله الجنة، قال تعالى: چ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ چ(١٢٣) والفرق بين الكبائر والفواحش الواردة في الآية الكريمة أن الفواحش هي الذنوب الكبار التي في النفوس داع إليها، كالزنا ونحوه، والكبائر ما ليس كذلك هذا عند الاقتران، وأما مع إفراد كل منهما عن الآخر فإن الآخر يدخل فيه (١٢٤).

---

(١٢٠) سورة الإسراء، آية: ٣٢.

(١٢١) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٤٥٧.

(١٢٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٣/٣٦ وصححه الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، ط١، الرياض، مكتبة المعارف، ١٤١٢هـ، ج١/٧١٢.

(١٢٣) سورة الشورى، آية: ٣٧.

(١٢٤) عبدالرحمن السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص٧٦٠.

ويعد رمي المحصنات(١٢٥) الغافلات من كبائر الذنوب قال تعالى چ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں چ(١٢٦).

إن ترك الألسنة تلقي التهم على النساء الضعيفات بدون بينة ودليل قاطع يترك المجال فسيحًا لكل من شاء أن يقذف بريئة أو بريئًا بتلك التهمة النكراء، ولهذا فإن صيانة الأعراض من التهجم حمايةً للمجتمع، وقد ورد في القرآن الكريم(١٢٧) عقوبة القذف، فجعلها قريبة من عقوبة الزنا، وحدّها ثمانون جلدة، وعدم قبول الشهادة، والوصم بالفسق والعياذ بالله، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: أن الله رتب حد القاذف برد الشهادة، والفسق على مجرد قذف المحصنات (١٢٨).

هكذا يولي القرآن الكريم موضوع قيم المحافظة على الأعراض والتهجم على المحصنات المؤمنات الغافلات اهتمامًا كبيرًا، مما يدل على أن الإسلام يؤكد هذا الجانب تأكيدًا قويًا إلى أن صار من سمات هذه الأمة البارزة التي تميزها على غيرها.

---

(١٢٥) المحصنات: أي المسلمات الحرائر العفائف. البغوي، الحسين بن مسعود (ت٥١٦هـ) تفسير البغوي المسمى بـ معالم التنزيل، علق عليه: عبدالله بن أحمد الزيد، ط١، الرياض، دار السلام، ١٤١٣هـ، ص ٦٤٤.

(١٢٦) سورة النور، آية: ٤.

(١٢٧) سورة النور:آية (٤)

(١٢٨) يراجع: الفتاوى مجموع فتاوى شيخ الإصلاح بن تيمية، جمع وترتيب: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم وابنه محمد، ط١، الكويت، مكتبة ابن تيمية، ج٣٦١/١٥.

٤ – رعاية اليتيم وصيانة حقوقه:

من القيم الإنسانية العظيمة التي وردت في حوار جعفر بن أبي طالبτ رعاية اليتيم وصيانة حقوقه في حياته.

واليتيم جمعها أيتام، وهو من فقد والده قبل البلوغ عن علي بن أبي طالب τ أن رسول ε قال: "لا يُتم بعد احتلام" (١٢٩).

وقد حث الدين الحنيف على الإحسان إلى اليتامى ومخالطتهم مخالطة كريمة، قال تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭼ (١٣٠)، كما أمر الله عز وجل بإكرام اليتيم وعدم إذلاله وقهره ممن حوله في مجتمعه والتعامل معه بجفاء وعنف، قال تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭼ(١٣١) .

ولضمان كرامة اليتيم حث الدين الحنيف على صيانة ماله لئلا يتجرأ أصحاب النفوس الضعيفة على أموال الأيتام القصر قال تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭼ(١٣٢)، وحذر النبي ε من حاول مد يده على أموال الأيتام أنه ارتكب أكبر الكبائر، قال ε "اجتنبوا السبع الموبقات وذكر منها أكل مال اليتيم" (١٣٣).

هذا التوجيه النبوي في المحافظة على حقوق اليتيم يندرج تحت مفهوم تحقيق كرامة الإنسان، ولمعالجة ما كان عليه حال الأيتام في الجاهلة وعند البعثة النبوية فقد كان الرجل عنده الأيتام من النساء وفيهن من يحل له نكاحها فيتزوجها لأجل مالها وهي لا تعجبه كراهية أن يدخل غريب فيشاركه في مالها، ثم يسيء صحبتها، وينتظر موتها ليرثها،

---

(١٢٩) أبو داود، السنن، كتاب الوصايا، باب ما جاء: متى ينقطع اليتيم، رقم الحديث (٢٨٧٣) وصححه الألباني محقق الكتاب، ص ٥١٠.

(١٣٠) سورة البقرة، آية: ٢٢٠.

(١٣١) سورة الماعون، آية: ١ – ٢.

(١٣٢) سورة النساء، آية: ١٠.

(١٣٣) البخاري، كتاب المحاربين من أهل الكفر والردة، باب رمي المحصنات، رقم الحديث (٦٨٥٧) ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها، رقم الحديث (٨٩).

فعاب الله تعالى ذلك (١٣٤) وأنزل هذه الآية ﭽ ڈ ڈ ڈ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ں ں ڻ ڻ ﭼ(١٣٥).
وقد ضرب النبي ε أروع الأمثلة في قيم المحافظة على حقوق اليتيم، فقد عاش النبي ε حياة اليتم فقد والديه وهو صغير كل ذلك لحكمة أرادها الله عزوجل، لعل من أبرزها أن لا يكون للمبطلين سبيل إلى إدخال الريبة في القلوب أو إيهام الناس بأن محمدًا إنما أخذ دعوته ورسالته منذ صباه بإرشاد وتوجيه من أبيه وجده ليصل إلى جاه الدنيا باصطناع النبوة، فقد كان لجده مكانة مرموقة في قومه، فلقد كانت إليه الرفادة والسقاية، أي إطعام الحجاج وسقياتهم (١٣٦). إضافة إلى أن في يتمهε تخفيف من معاناة الأيتام في كل زمان ومكان.

(١٣٤) الواحدي، أسباب النزول، ص ١٠٠، البغوي، معالم التنزيل، ص ١٦٤.

(١٣٥) سورة النساء، آية: ٣.

(١٣٦) البوطي، فقه السيرة، ص ٥١ – ٥٢، ومهدي رزق الله أحمد السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص ١١٢.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن ولاه أما بعد

فقد كان الهدف الرئيس من هذا البحث هو الكشف عن القيم الحضارية والإنسانية في حوار الصحابي الجليل جعفر بن أبي طالبτ مع ملك الحبشة النجاشي، ومن خلال الشواهد التاريخية تبين الآتي:

- إن مفهوم القيم الحضارية والإنسانية يعني مجموعة من المعايير والقواعد المستمدة من الدين الحنيف لضمان استقرار المجتمعات البشرية، والمحافظة على أمنها وسلامتها، ولتميز المجتمعات المسلمة عن غيرها من المجتمعات.

- إن النجاشي ليس اسماً لملك الحبشة في عصر النبوة، وإنما هو لقب يطلق على كل من تولى مملكة الحبشة، فقد كان اسم ملك الحبشة أو نجاشي الحبشة هو أصحمة بن أبجر النجاشي وهو الذي عاصر مرحلة هجرة الصحابةψ إلى الحبشة.

-إن جعفر بن أبي طالبτ يُعد من السابقين الأولين في الإسلام، وكان لقربه من النبيρأثر كبير في تكوين شخصيته الدعوية والحوارية، وما يملكه من سجايا وخصال إنسانية حميدة وصفات طيبة قلما تجتمع في رجل واحد ولكن ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

-طبيعة الحوار الذي دار بين جعفرτ وملك الحبشة فيه دلالة على ذكاء جعفرτ وقدرته الفائقة في الإقناع وكسب تعاطف النجاشي واستمالته لقبول ما جاء به نبينا محمدρ، فقد عرض القيم الإنسانية والأخلاق الفاضلة التي تهدف إلى تحقيق كرامة الإنسان في حياته الدنيوية وهذا يجلي حقيقة غائبة عند بعض المجتمعات التي تحاول النيل من النبيρ وتشويه رسالته.

- إن القيم الحضارية والإنسانية الواردة في الحوار تعزز من كرامة الإنسان في المجتمع المسلم مقارنة بالقيم الإنسانية في

بعض المجتمعات، وتتمثل هذه القيم في تقرير التوحيد وسلامة المعتقد في المجتمع، والقيم السلوكية في التورع عن المحرمات والفواحش وقول الزور ، ورعاية اليتيم وصيانة حقوقه، وتتميز هذه القيم بأنها مستمرة لأن مصدرها هو الشرع الحنيف، وهذا يجعلها صالحة لكل زمان ومكان.

- التوكيد على أهمية العناية بالحوار مع أصحاب الديانات والثقافات الأخرى لإبراز القيم الحضارية والإنسانية التي حث عليها الدين الحنيف خاصة في هذا الزمن الذي زاد فيه تواصل أبناء هذه الأمة بغيرهم ، ونما الإخلال ببعض القيم السلوكية والأخلاقية في بعضهم، فلا مناص، في ظل هذا الواقع من العمل الدؤوب للتذكير بهذه القيم النبيلة، وما بذله الصحابةψ من جهود حوارية في سبيل عرض محاسن الإسلام وتبليغه والدفاع عنه .

وبالإضافة إلى ما تقدم، ومن خلال معايشتي لهذا البحث يرى الباحث الآتي:

-أن على أبناء الإسلام العناية بسيرة النبيρ في وسائل الإعلام المختلفة المقروءة والمرئية والمسموعة، وطرحها على طلاب العلم بجميع مراحله وتخصصاته، ليكون لدى طالب العلم المسلم الحصيلة والحصانة الفكرية التي يستطيع بعد توفيق الله _عز وجل_ حمايتهم من الشبهات والأكاذيب.

-من المناسب أن يكون هناك قناة فضائية متخصصة لبث الوعي الإسلامي بين الشعوب في العالم، وأن تتصدى للحملات الدعائية التي ترمي إلى نشر الكراهية للإسلام وأهله، والإساءة إلى نبينا محمد ρ وسيرته.

-الاستفادة من التقنيات الحديثة في جمع وتحرير الأبحاث المتعلقة بالسيرة النبوية والتاريخ الإسلامي والرد من خلالها على المتهجمين والمشككين عن طريق إنشاء مواقع متخصصة في الشبكة العنكبوتية (الإنترنت) ويكون ذلك على مستوى الجامعات، وتحت إشراف أساتذة متخصصين في هذا الجانب.

ختامًا، أرجو أن أكون قد وفقت في تناول هذا الموضوع الذي يخدم جانبًا مهمًا من الجوانب المشرقة في تاريخنا الإسلامي، ولعل هذا الموضوع يكون نواة لطروحات علمية أشمل وأنفع إن شاء الله.

والله ولي التوفيق، والحمد لله رب العالمين. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم.

المصادر والمراجع

[١] القرآن الكريم.

[٢] ابن الأثير، أبو السعادات المبارك بن محمد (ت٦٠٦هـ/١٢٠٩م): النهاية في غريب الحديث، عناية: رائد بن صبري بن أبي علفة، ط٢، عمان، بيت الأفكار الدولية، ٢٠٠٣م.

[٣] الأزرقي، محمد بن عبدالله (ت٢٥٠هـ/٨٦٤م): أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار: تحقيق رشدي الصالح ملحس، ط١، مكة المكرمة، دار الثقافة، ١٣٩٩هـ .

[٤] الألباني، ناصر الدين: سلسلة الأحاديث الصحيحة، ط١، الرياض، مكتبة المعارف، ١٤١٢هـ.

[٥] أبوداود، سليمان بن الأشعث(ت٢٧٥ه/٨٨٨م): السنن، تعليق: محمد ناصر الدين الألباني ، ط٢، الرياض، مكتبة المعارف للنشر، ١٤٢٧هـ.

[٦] أبو العينين، علي خليل: القيم الإسلامية والتربوية، ط١، القاهرة، مكتبة إبراهيم حلبي، ١٤٠٨هـ.

[٧] أحمد، مهدي رزق الله: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ط١، الرياض، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤١٢هـ.

[٨] البخاري، محمد بن إسماعيل (ت٢٥٦هـ/٨٦٩م):

[٩] الجامع الصحيح، تحقيق: محمود محمد محمود، وحسن نصار، ط٢، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٣هـ.

[١٠] البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر(٢٧٩هـ/٨٩٢م): أنساب الأشراف، تحقيق: محمد حميد الله، ط١، القاهرة، دار المعارف، ١٩٥٩م.
[١١] ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني (ت٨٥٢هـ/١٨٤٨م): الإصابة في تمييز الصحابة، ط١، القاهرة، المكتبة الخديوية، ١٣٢٨هـ.
[١٢] فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق وتصحيح: سماحة الشيخ: عبدالعزيز بن باز، ط٢، بيروت، دار المعرفة، ١٣٧٩هـ.
[١٣] ابن حنبل، أحمد بن محمد(ت٢٤١هـ/٨٥٥م): المسند، ط٤، عمان، بيت الأفكار الدولية، ١٩٩٨م.
[١٤] الذهبي، محمد بن أحمد (ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م): السيرة النبوية، تحقيق: حسام الدين القدسي، ط٢، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٢هـ.
[١٥] سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ط٤، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٦هـ
[١٦] الرازي، محمد بن أبي بكر: مختار الصحاح، ط١، بيروت، مكتبة لبنان، ٢٠٠٦م.
[١٧] زهران، حامد عبدالسلام: علم النفس الاجتماعي، ط١، بيروت، عالم الكتب، ٢٠٠٣م.
[١٨] الزنيدي، عبدالرحمن بن زيد: السلفية وقضايا العصر، ط١، الرياض، دار إشبيليا، ١٤١٨هـ .
[١٩] سالم، السيد عبدالعزيز: دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط١، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، د. ت.
[٢٠] ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع (ت٢٣٠هـ/٨٤٤م): الطبقات الكبرى، ط١، بيروت، دار صادر، ١٣٨٨هـ.
[٢١] السعدي، عبدالرحمن بن ناصر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبدالرحمن بن معلا اللويحق، ط٢، الرياض، دار المؤيد، ١٤٢٦هـ.
[٢٢] السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن (ت٩١١هـ/١٥٠٥م): رفع شأن الحبشان، ط٢، جدة، دار القبلة للنشر، د.ت.

[٢٣] الشيخ قريب الله، حسن الشيخ الفاتح: السودان دار الهجرتين الأولى والثانية للصحابة، ط١، الخرطوم، المؤسسة العامة للنشر، د.ت
[٢٤] الصالحي، محمد بن يوسف (ت٩٤٢هـ/١٥٣٥م): سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، تعليق: علي محمد معوض، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٤هـ.
[٢٥] الطبري، محمد بن جرير(ت٣١٠هـ/٩٢٢م): تاريخ الأمم والملوك، ط١، بيروت، دار الفكر للنشر، ١٤٠٧هـ.
[٢٦] الطحاوي، أحمد بن محمد (ت٣٢١هـ/٩٣٣م): شرح معاني الآثار، تحقيق محمد زهير النجار وزملاءه، ط١، بيروت، دار عالم الكتب.
[٢٧] الطريقي، عبدالله بن إبراهيم: ط١، الثقافة الإسلامية، د. ت، ١٤١٧هـ.
[٢٨] العبد، عبداللطيف محمد: الأخلاق في الإسلام، ط١، المدنية المنورة، مكتبة دار التراث، د. ت.
[٢٩] -العمري، أكرم ضياء: السيرة النبوية الصحيحة، ط٤، الرياض، مكتبة العبيكان، ١٤٢١هـ.
[٣٠] الغزالي، محمد بن محمد (ت٥٠٥هـ/١١١١م): المستصفى من علم الأصول، تحقيق: حمزة بن زهير حافظ، ط١، المدينة، شركة المدينة للنشر، ١٤١٣هـ.
[٣١] الفيومي، أحمد بن محمد (ت٧٧٠هـ/١٣٦٨م): المصباح المنير، ط١، بيروت، مكتبة لبنان، ١٩٩٠م.
[٣٢] ابن كثير، أبو الفدا إسماعيل (ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م): تفسير القرآن العظيم، صححه خليل الميس، ط٢، بيروت، مكتبة المعارف، ١٤٠٤هـ.
[٣٣] البداية والنهاية، ط٥، بيروت، مكتبة المعارف، ١٤٠٥هـ.
[٣٤] -ابن الكلبي، هشام بن محمد (ت٢٠٤هـ/٨١٩م): الأصنام، تحقيق: أحمد زكي باشا، ط١، القاهرة، دار الكتب المصرية ١٩٢٤م.
[٣٥] مسلم، ابن الحجاج القشيري (ت٢٦١هـ/٨٧٤م): الصحيح، ط١، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ.

[٣٦] منِسى، سامية عبدالعزيز: إسلام نجاشي الحبشة ودوره في صدر الدعوة الإسلامية، ط١، القاهرة، دار الفكر، ١٤٢١هـ.
[٣٧] ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم (٧١١هـ/١٣١١م): لسان العرب، ط١، بيروت، دار صادر، ١٣٨٨هـ.
[٣٨] ابن هشام، عبدالملك بن هشام (٢١٨هـ/٨٣٣م): السيرة النبوية، ، تحقيق: مصطفى السقا وزملاءه، ط١، القاهرة، مؤسسة علوم القرآن، ١٣٧٥هـ.
[٣٩] الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر (ت٨٠٧هـ/١٤٠٤م): مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تحقيق: حسام الدين القدسي، ط١، القاهرة، مكتبة القدس، ١٤١٤هـ.
[٤٠] الواحدي، علي بن أحمد(ت٤٦٨هـ/١٠٧٥م): أسباب النزول، ط١، بيروت، دار ومكتبة الهلال، ١٩٨٣م.

Cultural and humanitarian values in the dialogue of Ja'far Ibn Abi Talib (may Allah be pleased with him) with King of Abyssinia

Dr. Bassam A. Alkharashi
AL-Imam Muhmmad Ibn Saud, Islamic University
College OF Social Sciences
Dept. of History and Civilization

Abstract. This research deals with cultural and human values in the Sira - Story of Prophet Muhammad (peace be upon him**)**, which are emphasized by the speech of the sahaabi (companion of the Prophet Muhammad) Jafar-bin-Abi Talib, also known as Ja'far al-Tayyar (may Allah be pleased with him), when he was in a dialogue with the King Negus of Abyssinia Osahmh bin Abjar. Jafar (may Allah be pleased with him), persuaded intelligently King Negus to convert to Islam indicating that "We were an uncivilised people. God sent us a prophet who commanded us to speak the truth, be faithful to our engagements, mindful of the ties of kinship and kindly hospitality, and to refrain from crimes and bloodshed. He forbade us to commit abominations and to speak lies, and to devour the property of orphans, to vilify chaste women. He commanded us to worship God alone and not to associate anything with Him, and he gave us orders about prayer, alms and fasting [enumerating the commands of Islam]. So we believed in him and what he brought to us from Allah; and we follow what he asked us to do and we avoid what he forbade us to do."

This research aims to highlight the benefits and lessons learned from the speech of Jafar-bin-Abi Talib (may Allah be pleased with him) which contains set of values, that can be applied to human societies in order to maintain the stability and security.